مجلة الدراسات المستدامة. السنة (٧) المجلد (٧) العدد (٢) ملحق(١) نيسان. لسنة ٢٠٢٥م -١٤٤٦هـ
عدد خاص بنشر بحوث المؤتمر العلمي الثامن تحت شعار (الإستدامة .. إستجابة الحاضر والمستقبل) وبعنوان (العمل التربوي والأكاديمي في ضوء التنمية المستدامة – الفرص والتحديات) المنعقد حضورياً في بغداد بتاريخ ٨/ (شباط) /٢٠٢٥م.

تدريس اللغات الأجنبية في العراق بين الواقع والطموح

م.م. هيفاء حسين علوان

وزارة التربية / المديرية العامة للعلاقات الثقافية / مديرية المنظمات الدولية والعربية

haifaahusein72@gmail.com

الملخص

نتناول في بحثنا هذا نبذة مختصرة عن أهمية اللغة الاسبانية وتاريخ تطورها منذ نشأتها ولغاية الان، وتأثير اللغة العربية فيها ومدى التقارب الكبير بين اللغتين والثقافتين العربية والاسبانية نتيجة الفتوحات الاسلامية والوجود العربي في الاندلس لمدة ثمانية قرون مضت، ثم نشرح أهمية تعلم اللغات الاجنبية عموما واللغة الاسبانية على وجه الخصوص وأهمية التنوع الثقافي وتعدد اللغات، وبعدها نتطرق لتجربة تدريس اللغات الأجنبية الثلاث (الفرنسية والروسية والاسبانية) ، إذ أتبعت وزارة التربية سابقا سياسة تعليمية مهمة ومتطورة، الا وهي تدريس اللغات الاجنبية الثلاث الى جانب اللغة الانكليزية في المدارس، فقد بدأت التجربة عام ١٩٨٠ في عدد من مدارس بغداد المتوسطة والثانوية في الكرخ والرصافة لتدريس ثلاث لغات عالمية معترف بها في هيئة الامم المتحدة ، وكانت تجربة ناجحة في بدايتها نتيجة لدعم الوزارة و الدول الناطقة بتلك اللغات من خلال رفد المدارس بالكتب والوسائل التعليمية وأيفاد المدرسين الى الدول الناطقة بها للاشتراك في دورات تدريبية لتطوير مهاراتهم اللغوية والتواصل مع اللغة ، فضلا عن أيفاد الطلبة الاوائل والمتميزين الى تلك الدول للاشتراك في معسكرات صيفية تدريبية، فقد شملت التجربة عددا من المدارس في بغداد فقط لتدريس اللغتين الاسبانية والروسية ، أما اللغة الفرنسية فقد تم تدريسها في بعض مدارس محافظة بغداد نينوى والبصرة وبابل ، بسبب تطور العلاقات الثقافية والاقتصادية بين العراق وفرنسا ورغبة الطلبة في دراسة هذه اللغة أكثر من غيرها . وبعدها يتم التطرق الى أسباب فشل تدريس اللغتين الاسبانية والروسية والاقتصار على تدريس اللغة الفرنسية الى جانب اللغة الإنكليزية واهم المعوقات والمعالجات المطلوبة من اجل إنعاش التجربة من جديد تماشيا مع سياسة الحكومة بالانفتاح على العالم ومواكبة التطورات الحاصلة فيه والاطلاع على ثقافة الشعوب الأخرى والاستفادة من علومهم في مختلف المجالات.

الكلمات المفتاحية: (اللغات الاجنبية، التنوع الثقافي، القشتالية).

Teaching the foreign languages in Iraq between reality and ambition.

Haifa Hussein Alwan

Ministry of Education, Directorate General of Cultural Relations, Section of International and Arab Organizations

haifaahusein72@gmail.com

Abstract

In this research, we discuss a brief overview of the importance of the Spanish language and the history of its development from its inception until now, and the influence of the Arabic language on it and the extent of the great rapprochement between the two languages and cultures, Arabic and Spanish, as a result of Islamic conquests and the Arab presence in Andalusia for the past eight centuries. Then we explain the importance of learning foreign languages in general, and the Spanish language in particular, the importance of cultural diversity and multilingualism, and then we discuss the experience of teaching the three foreign languages, (French, Russian, and Spanish), in addition to the English language. The experiment began in 1980 in some in Bagdad to teach three international languages recognized by the United Nation. It was a successful experience at its beginning as a result of the ministry's support and the support of the countries that speak those languages by supplying schools with books and educational materials and involving teachers in training courses outside Iraq, in addition to sending top and distinguished students to those countries to participate in summer training camps. The experiment included a number of schools in Baghdad to teach the Spanish and Russian language, while the French language was taught in some schools in Bagdad, Nineveh, Basra and Babylon, due to the development of cultural and economic relations between Iraq and France and the desire of students to study this language more than others. After that, the reasons for the failure of teaching the Russian and Spanish

languages and the limited teaching of the French language in addition to the English language , were discussed the most important obstacles and treatments required in order to revive the experience again in line with the government's policy of opening to the world and keeping pace with the developments taking place in it, and learn about the culture of other peoples and benefit from their knowledge in different fields.

Keywords: (Foreign languages, Cultural diversity, Castilian).

المقدمة

لا شك أن تعلم اللغات الاجنبية ينقلنا الى فضاءات فهم ثقافات تلك الشعوب، ويعود بالكثير من الفوائد لعل أهمها فتح نوافذ وأفاق على عوالم وثقافات مختلفة وجديدة والقدرة على أنشاء هوية خاصة مما يزيد الثقة بالنفس ويساعد على تنمية شخصية الطفل ككل، ومن وجهة نظر تعليمية فأن أدراج لغة أجنبية كمادة إضافية يمنح الاطفال بعمر أربع وخمس سنوات تصورا جديدا، فتعلمهم اللغة مهارات الاستماع والكتابة والقراءة، مما يؤدي الى تنمية قابلياتهم العقلية والابداعية مقارنة بغيرهم ممن لايدرسونها. لقد شجعت وتشجع المنظمات الدولية ومنها اليونسكو الدول على اعتماد تعليم ثنائي أو متعدد اللغات قائم على اللغة الام، ويشير التعليم المتعدد بالنسبة للمنظمة أعلاه الى أدراج ثلاث لغات على الاقل في التعليم، لغة إقليمية أو وطنية ولغة عالمية، واعتمدت في عام ١٩٩٧ عبارة ((التعليم المتعدد اللغات))، إذ أكدت على أهمية التعليم باستعمال اللغة الام في السنوات الاولى من التعليم المدرسي. أن التنوع اللغوي وتعدد اللغات يعد جزء لا يتجزأ من التنمية المستدامة في السياسات التعليمية للدول المتقدمة ، وأن هذا التنوع يؤدي بالمثل الى التسامح اللغوي والثقافي من خلال التعرف على المزيد من التقاليد والثقافات والعادات وفهم أعمق لخصوصيات العرقيات المختلفة في الدولة ، وأتقان أكثر من لغة ينمي مهارات التواصل مع الاخرين ، فسوق

العمل العالمي يتطلب قدرات ومهارات أخرى فضلا عن الشهادات الاكاديمية ، إذ سيكون الشخص مطالبا بالقدرة على التواصل مع الكثير من الناس من مختلف دول العالم الذين يحملون ثقافات متباينة، وهذا يعني التكيف مع بيئة العمل بشكل أكثر فاعلية ومرونة . نتيجة لما تقدم ونظرا لأهمية تدريس اللغات الاجنبية وتحديدا (اللغة الاسبانية والفرنسية والروسية)، فقد اختير هذا الموضوع ليكون مادة لبحثنا هذا، إذ سنتناول تجربة تدريس تلك اللغات، وأهم المشكلات والمعوقات التي واجهتها منذ بداياتها وحتى نهايتها، وسنركز على تدريس اللغة الاسبانية لما تتمتع به هذه اللغة من خصوصية وأهمية كبيرة نظرا لكثرة الناطقين بها في العالم، وسنشرح تأثير اللغة العربية فيها وتأثير الفتوحات الاسلامية في بلاد الاندلس، كما سنتطرق الى مجموعة من المفردات الموجودة في اللغة الاسبانية والتي تكون مشتقة من اللغة العربية. فضلا عن القرارات التي اتخذتها وزارة التربية بهذا الخصوص منذ بداية التجربة وحتى وقتنا الحاضر، ونحاول أيجاد بعض الحلول والمعالجات الممكنة لأحياء التجربة من جديد في حال توفر الدعم المناسب لها من قبل الوزارة ومن الجانب الاسباني.

أهمية اللغة الاسبانية وتأثرها باللغة والتراث العربي

تم تصنيف اللغة الاسبانية واحدة من اللغات الخمسة الرئيسة في العالم وهي من اللغات التي يسهل تعلمها والتحدث بها نظرا لأوجه الشبه الكبير بينها وبين اللغة الانجليزية كالحروف الابجدية والمعاني واللفظ، وأن متعلم تلك اللغة يفهم الكثير من الجمل والعبارات باللغة الانكليزية من ناحية اللفظ والكتابة مع بعض الاختلافات بالتأكيد بينهما. أن تاريخ اللغة الاسبانية وأصل اللهجات بدأت مع التطور اللغوي للاتينية العامية (الشعبية) وترجع الى عائلة اللغات الهندو – أوربية حوالي ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد (السلتين) الإيبيرية (سكان اسبانيا القدماء) تكلموا في وقت مبكر اللغة السلتية، أشير اليها من قبل العلماء بالاسم القديم لأسبانيا ((هيسبانيا)) القديمة ، ثم بدأت المنطقة بتعلم اللاتينية من الرومانيين.

أن تركيبة اللغة السيلتية واللاتينية تطورت عن طريق اللاتينية العامية التي كانت متأقلمة (متكيفة) من اللاتينية التي استعملت العبارات والكلمات التي تكون مختلفة عن اللاتينية التقليدية. أصبحت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية للمنطقة عندما أستولى القوط الغربيين عليها والتي سميت باسم اسبانيا ، أستمرت هذه اللغة حتى وصول المغاربة الذين يتكلمون اللغة العربية ، بعد سيطرة تلك المجاميع ، أصبحت اللغة العربية هي اللغة المهيمنة هناك ، باستثناء المناطق الحالية المسيطر عليها من قبل المسيحين ، وظلت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية هناك ، وعندما بدأت المجاميع المسيحية باستعادة أسبانيا من العرب المغاربة ، عادت اللاتينية العامية لتكون اللغة السائدة في كل أسبانيا ، بعدها اتخذت اللغة شكلا أخر، إذ تم دمج العربية مع اللهجات المرتبطة بها وكانت تسمى (باللهجات المستعربة) ،أي التي تأثرت كثيرا باللغة العربية ، وتشير التقديرات بوجود حوالي ثلاثة الى أربعة ألاف كلمة أسبانية اليوم تعود جذورها الى اللغة العربية .

بدأت اللهجة القشتالية وهي واحدة من اللهجات الاسبانية تأخذ شكلا مختلفا في القرن الثالث عشر مع الملك الفونسو العاشر Alfonso X ، وبعدها بدأت سلسلة الترجمات من لغات مختلفة الى تلك اللغة في مجالات عديدة ، كالقانون والعلوم والفنون والادب والتاريخ ...الخ ، هذه الترجمات أصبحت أساس لنشر المعلومات في جزء مهم من أوربا الغربية ، وعندها أعلن الملك الفونسو العاشر أن القشتالية هي اللغة الرسمية للمستندات الحكومية والقرارات، واستمرت اللهجة القشتالية بالنمو مع الافكار الكاثوليكية بعد الاستيلاء على معظم مناطق أسبانيا ، لتصبح هي اللغة الرسمية لجميع المواد التعليمية والمناهج الدراسية فيها، فضلا عن وجود لهجات أخرى أبرزها الاندلسية والاشبيلية والكتالونية والكاليثية.

أن الخطوة الاولى التي ينبغي أن يتبعها الراغبين بتعلم اللغة الاسبانية، تتمثل في أتقان الحروف الابجدية، لفظا وكتابة وهي طريقة رائعة لتعلم اللفظ الصحيح للكلمات والجمل، و بما أنه يوجد تشابه كبير بين الحروف الابجدية الاسبانية وبين اللغة الانكليزية، كون جذورهما تعودان للغة اللاتينية، لهذا السبب لن يضطر المتعلم الى معرفة مجموعة جديدة تماما من الحروف الابجدية ، كما هو الحال مع اللغات الاسيوية مثل الصينية أو الكورية أو اليابانية ، وتوجد

الكثير من الكلمات الاسبانية التي تشبه في طريقة كتابتها وحتى لفظها الكلمات الانجليزية مع وجود اختلافات بسيطة جدا مثلا :

عربي	إنجليزي	أسباني
تربية	Education	Educación
خارطة	Map	Mapa
ثقافة	Culture	Cultura
حوار	Conversation	Conversación
مهم	Important	Importante

حتى من دون أتقان اللغة الاسبانية، يمكن لأي شخص لديه معلومات عن اللغة الانكليزية أن يحزر معاني هذه الكلمات بمجرد سماعها أو رؤيتها، لذا فأن ما نراه في اللغة الاسبانية هو بالضبط ما نلفظه، الكلمات تلفظ كما تكتب تماما ماعدا الحرف (h) الذي يكتب ولا يلفظ، بعكس ما هو عليه الحال في لغات أخرى مثل اللغة الفرنسية، لان فيها الكثير من الحروف التي تكتب ولا تلفظ، فبمجرد أن تعرف لفظ الحروف الابجدية الاسبانية بالصورة الصحيحة، سيصبح في وسعك قراءة الكلمات بدون أي صعوبة.

أن تأثر اللغة الاسبانية باللغة العربية في الغالب معجمي وليس قواعدي، لان قواعد اللغة الاسبانية تختلف تماما عن قواعد اللغة العربية، وهذا يعني أنه يرى بصفة رئيسة في مفردات اللغة الاسبانية أكثر من قواعدها أو تراكيبها النحوية، وقد قدر أن هناك ما يزيد على ٤٠٠٠ كلمة عربية مستعارة، وأكثر من ١٠٠٠جذر لغوي عربي، وهما معا يشكلان ٨% من المفردات الاسبانية. وبسبب أن الاندلس كانت في كثير من الاحوال مجتمعا أكثر تقدما من الثقافات الاوربية الاخرى، فأن الكلمات الاسبانية المشتقة عن العربية توجد بصفة أساسية في المجالات التي أدخلها العرب لشبه الجزيرة الايبيرية مثل القضاء والذي أعتمد على الشريعة الاسلامية والقران الكريم، فكلمات مثل rehén، asesino أي (الرهينة أو المحبوس) و tarifa التعريفة، كلها دخلت الاسبانية من خلال اللغة العربية. ومن المجالات المهمة الأخرى تلك التي تحتوي على كلمات تتعلق بالإدارة والاعمال نحو almacénالتي تعني وديعة أو عربون، وكلمة

almonedaالتي تعني المزاد، كما توجد الكثير من المجالات الاخرى التي تحتوي على كلمات مشتقة من اللغة العربية مثل: – أسماء الأطعمة مثل aceiteالزيت و arrozالرز، وكذلك مصطلحات علم الفلك والرياضيات مثل cenit سنتي، و cero الصفر، فضلا عن كلمات لمهن مختلفة مثل alfarero فخاري و albañil البناء. توجد حالات قليلة لتأثير العربية على اللغة الاسبانية غير متعلقة بالمفردات، وأكثر هذه التعبيرات شهرة ojalá التي اشتقت من الجملة العربية (أن شاء الله)، والكلمة لاتزال تستعمل كثيرا عبر أسبانيا وأمريكا اللاتينية.

تعلم اللغات وأحراز التنوع الثقافي

أن تعلم اللغات الاجنبية، يعني الحصول على وسيلة أخرى للتواصل مع الاخرين فالإنسان بطبيعته الفطرية ينبغي أن يتواصل مع غيره في هذا الكون الواسع ويطلع على علومهم وثقافاتهم ويعرفهم بثقافة دولته وتاريخه وأن يتشارك مع الاخرين في معارفه وأراءه، واللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الثقافة، لذلك أن دراسة اللغة الاجنبية يعني الاطلاع على ثقافة تلك الدولة، وهذا الاطلاع يجعل الانسان منفتح العقل والقلب والادراك، وبإمكانه التمييز والفهم والنقد والمقارنة.

أتبعت وزارة التربية سابقا سياسة تعليمية مهمة ومتطورة، الا وهي تدريس اللغات الاجنبية الثلاث (الفرنسية والاسبانية والروسية) الى جانب اللغة الانكليزية في المدارس، فقد بدأت التجربة عام ١٩٨٠ في عدد من مدارس بغداد المتوسطة والثانوية في الكرخ والرصافة لتدريس ثلاث لغات عالمية معترف بها في هيئة الامم المتحدة ، وكانت تجربة ناجحة في بداياتها نتيجة لدعم الوزارة و الدول الناطقة بتلك اللغات من خلال رفد المدارس بالكتب والوسائل التعليمية وأيفاد المدرسين الى الدول الناطقة بها للاشتراك في دورات تدريبية لتطوير مهاراتهم اللغوية والتواصل مع اللغة ،فضلا عن أيفاد الطلبة الاوائل والمتميزين الى تلك الدول للاشتراك في معسكرات صيفية تدريبية، فقد شملت التجربة عددا من المدارس في بغداد فقط لتدريس اللغتين الاسبانية والروسية أما اللغة الفرنسية فقد تم تدريسها في بعض مدارس محافظة نينوى والبصرة وبابل ، بسبب تطور العلاقات الثقافية والاقتصادية بين الدولتين، ورغبة الطلبة في دراسة هذه اللغة أكثر من غيرها.

أن اختيار تدريس اللغة الاسبانية في المدارس العراقية جاء نتيجة لأسباب عديدة أهمها كون هذه اللغة هي أحد اللغات العالمية التي يتحدث بها أكثر من ٤٥٠ مليون شخص في أسبانيا

وجميع دول أمريكا اللاتينية وبعض المدن في الولايات المتحدة الامريكية وفي أفريقيا ، ومن الاسباب الاخرى وهي أسباب ثقافية وسياسية لتشجيع تدريس اللغة العربية في تلك الدول ، لاسيما في أسبانيا ذات التاريخ والتراث الاندلسي ، فضلا عن أن اللغة الاسبانية أقرب لغة أوروبية الى اللغة العربية، أذ ورد فيها أكثر من (٤,٢٠٠) أربعة ألاف ومئتان كلمة أسبانية ذات جذر عربي.

بدأ تدريس اللغة الاسبانية أسوة (باللغة الفرنسية والروسية) عام ١٩٨٠ توزعت على ثلاث مدارس بنين وبنات في الكرخ ومثلها في الرصافة ، وكان عدد الطلبة في عام ٢٠١٠ أكثر من (٣٠٠٠) طالب وطالبة مع (١٦) مدرس ومدرسة تحت أشراف الدكتور رضا هادي عباس دكتوراه في تاريخ الاندلس من جامعة غرناطة، وكانت هناك ثلاث شعب في المديرية العامة للمناهج وهي (وحدة منهاج اللغة الفرنسية ووحدة مناهج اللغة الاسبانية، أضافة للغة الروسية) وكانت من مهام هذه الشعب الاشراف ومتابعة تدريس تلك اللغات في المدارس والتواصل مع سفارات تلك الدول وأقامه الدورات لمدرسي اللغات الثلاث ومتابعة أيفاداتهم، إذ كانت أسبانيا تقوم بأشراك مدرسي المادة في دورات تدريبية في أسبانيا تتراوح مدتها بين شهرين الى ستة أشهر ولغاية عام ٢٠٠٣ ، وقد شارك في هذه الدورات جميع مدرسي اللغة الاسبانية وبالتناوب ، وتم أيفاد الطلبة الاوائل الى أسبانيا برفقة عدد من مدرسي و مدرسات المادة، وكانت السفارة الاسبانية في بغداد تزود المدارس بالملصقات والوسائل التعليمية والقواميس والاشرطة التي تخص تدريس تلك اللغة. في بداية التجربة صدر قرار أضافة ١٦% الى المجموع النهائي لطالب اللغة الاجنبية المضافة أي (٢) درجتان على المعدل النهائي لطلبة المرحلة المنتهية (السادس الإعدادي) إذ كان الطلبة يدرسون اللغة الانكليزية واللغة المضافة معا، على أن يتم احتساب الدرجة الاعلى لأحدى اللغتين، وكانت هذه القرارات حافزا للطلبة لأكمال دراسة اللغة المضافة الى جانب اللغة الانكليزية، وقد افادوا كثيرا من هذه الدرجات الاضافية في تغيير قبولاتهم من كلية أدنى الى أعلى. أما بخصوص المناهج المعتمدة فقد تم اعتماد كتاب (الاسبانية مباشرة) El español en directo بعد أجراء بعض التعديلات عليه من قبل المشرفين على التجربة في المديرية العامة للمناهج، في عام ١٩٩٧ تم تشكيل لجان تطوير مناهج اللغات

الاجنبية بموجب الامر الوزاري المرقم (١٤١٧) في ٢٨/ ١١/ ١٩٩٧، ضمت تلك اللجان أساتذة من جامعة بغداد والجامعة المستنصرية مع بعض مدرسي اللغات الثلاث ومسؤولي وحدة مناهج اللغة الاسبانية والفرنسية والروسية في المديرية العامة للمناهج في ذلك الوقت، وكانت مهمة هذه اللجان هي متابعة مناهج اللغات الثلاث وأجراء التعديلات اللازمة عليها ثم توقف عمل هذه اللجان بعد أحداث ٢٠٠٣ وسقوط النظام البائد في ٩/ ٢٠٠٣/٤.

في عام ٢٠٠٧ تم أعادة تشكيل اللجان الوطنية للغات الاجنبية الثلاث ودمجها مع اللجنة الوطنية لمناهج اللغة الانكليزية ليصبح أسمها اللجنة الوطنية لتطوير مناهج اللغة الانكليزية واللغات الاجنبية الاخرى بموجب الامر الوزاري المرقم ((٢٢١٢) في ٢٠٠٧/٥/٢٢، وأستمر عمل هذه اللجنة لغاية ٢٠١٠ لمتابعة سير تدريس تلك اللغات في المدارس العراقية.

وظل منهج اللغة الاسبانية Español En Directo (الاسبانية مباشرة) بمراحله الستة هو المعتمد منذ بداية التجربة ولغاية الان ،في عام ٢٠٠٩ تم تشكيل لجان متخصصة لتأليف مناهج جديدة للغتين (الاسبانية والروسية) على كون أن منهج اللغة الفرنسية تم تغييره واعتماد منهج جديد من قبل السفارة الفرنسية في بغداد، وضمت اللجنة أساتذة من كلية اللغات / جامعة بغداد / قسمي اللغة (الاسبانية والروسية) فضلاً عن مدرسي المادة في المدارس المشمولة بالتجربة وعضو ومقرر من وحدة مناهج اللغة الاسبانية والروسية في المديرية العامة للمناهج ، وتم البدء بتأليف كتاب الصف الاول المتوسط للغتين أعلاه، لغرض اعتماده في المدارس بدلا عن المناهج القديمة ، ولكن توقف العمل به وذلك لعدم وجود التخصيصات المالية اللازمة لطبع تلك المناهج وعدم وجود الدعم الكافي من قبل الوزارة لهما.

لقد عاشت التجربة عصرها الذهبي خلال مدة الثمانينات وبداية التسعينات، واستمرت لمدة (٣٥) سنة، فضلاً عن دعم الجانب الاسباني لها علميا وثقافيا مقابل تدريس اللغة العربية في مدارس وجامعات أسبانيا ،علما أنه توجد اتفاقية عراقية إسبانية في ذلك الوقت ،وتتضمن أيفاد الطلبة من دارسي اللغة في المدارس الى أسبانيا لتشجيعهم على أكمال دراستهم في الاقسام المناظرة في كلية اللغات / جامعة بغداد وأشراك الطلبة الاوائل في ذلك القسم في دورات تدريبية خلال العطلة الصيفية في أسبانيا والدول الناطقة باللغة لتطوير قابلياتهم اللغوية والاطلاع على

المناهج الحديثة لتدريس هذه المادة، ومن ثم حصول خريجي هذا القسم من الاوائل والمتميزين في كلية اللغات على بعثات دراسية لإكمال دراساتهم العليا، إذ نرى الآن أن معظم الاساتذة في القسم المذكور أعلاه ، هم من خريجي الجامعات الاسبانية.

فيما بعد أصبح تدريس اللغة الاجنبية اختياريا مع اعتماد درجة اللغة الانكليزية أساسا في المعدل النهائي للطالب، وتقليل الدرجات المضافة من درجتان الى درجة واحدة، وكانت هذه الشرارة الاولى لبداية نهاية التجربة، إذ أصبح تدريس اللغة الاجنبية يشكل عبئا ثقيلا على الاهالي والطلبة بنفس الوقت، لأنه يكلفهم مصاريف وجهود إضافية لتدريس أبنائهم، تلك الجهود التي لاتتلائم والدرجات الممنوحة لهم، إذ الاجدر أن يركزوا جهودهم على دراسة مواد أخرى أساسية، وبعدها توالت القرارات المجحفة بحق هذه التجربة من قبل وزارة التربية، إذ تم تقليص عدد المدارس المشمولة واقتصارها على ثلاث مدارس في جانب الكرخ ومثلها في الرصافة للغتين الاسبانية والروسية، أما الفرنسية فتم الابقاء عليها في مدارس المتميزين والموهوبين ، مما أدى الى زيادة أعداد الطلبة لكون دراسة تلك اللغة في المدارس أعلاه اجباريا وليس اختياريا الى جانب الدعم الكبير من السفارة الفرنسية في بغداد .

بعد أن أصبح تدريس اللغة الاسبانية والروسية اختياريا بدء خريجوا تلك المدارس بالتسرب من المرحلة المتوسطة الى مدارس أخرى غير مشمولة، وبذلك أخذت أعداد الطلبة بالتناقص وأقتصر تدريس اللغة الاسبانية على مدرستين في الكرخ وهي ثانوية الرائد للبنين وثانوية الجامعة للبنات ومدرسة واحدة في الرصافة وهي ثانوية ذات الصواري للبنات، أما اللغة الروسية، فأقتصر تدريسها على ثانوية النضال للبنات في جانب الكرخ لغاية العام ٢٠١٢.

في عام ٢٠١٣ انتهت التجربة تماما ولم تعد هناك أي مدرسة تدرس تلك اللغتين، وأقتصر على تدريس اللغة الفرنسية في مدارس المتميزين في بغداد والمحافظات كافة ومدارس الموهوبين وكلية بغداد، فضلا عن عدد من المدارس في محافظة بغداد.

أسباب فشل تجربة تدريس اللغة الاسبانية في العراق

أن تجربة تدريس اللغات الاجنبية الثلاث (الفرنسية والروسية والاسبانية) تعد من التجارب الرائدة في المدارس العراقية ، إذ كانت هذه التجربة تعيش عصرها الذهبي في بداية نشأتها عام ١٩٨٠ ، إذ شهدت المدارس المشمولة بالتجربة أقبالا واسعا من قبل الطلبة وأولياء أمورهم على دراستها ، بسبب الامتيازات التي يتمتع بها الطلبة من أضافة درجات على مجموع الطالب النهائي، وكان لهذه الدرجات تأثير كبير على تغيير فبولاتهم ورفع معدلاتهم وقبولهم في كليات أعلى من أقرانهم ممن لا يدرسون اللغة الاجنبية ، فضلا عن الدعم الحكومي ودعم سفارات الدول الناطقة بتلك اللغتين لمدارس التجربة ، إذ كانت السفارة الاسبانية في بغداد توفد سنويا عدد من مدرسي اللغة الاسبانية الى أسبانيا للاشتراك في دورات تدريبية تتراوح مدتها بين شهرين الى ٦ أشهر لتطوير مهاراتهم اللغوية والاطلاع على أحدث الوسائل التعليمية وتزويد المدارس بالكتب الاثرائية والوسائل التعليمية وأشراك الطلبة الاوائل في ورش تدريبية في أسبانيا كحافز لهم للاستمرار بدراستها . ويمكن أن نلخص أسباب فشل التجربة بالنقاط الآتية:

١- تدهور الوضع السياسي كنتائج للحرب العراقية – الايرانية وغزو الكويت وسقوط النظام البائد وكثرة التوترات وعدم استقرار الوضع الامني والاقتصادي في العراق بعد حرب ٢٠٠٣ ولغاية الان، كل هذا أثر سلبا على سير التجربة وعلى جميع مرافق الحياة.

٢- انعدام الدعم الحكومي لتدريس اللغات الاجنبية عموما واللغة الاسبانية على وجه الخصوص، من قبل الوزارة على الرغم من انفتاح العراق على العالم الخارجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير، تلك الوسائل التي تتيح للأشخاص فرصة التواصل مع غيرهم من دول العالم، إذ تشكل اللغة العائق الكبير أمام تطلعاتهم ومواكبة التطورات وأحدث الاصدارات في مجال العلوم والتكنلوجيا والفنون.

٣- تناقض وتضارب التعليمات الخاصة بالتجربة طوال (٣٥) بين جعل تدريسها أجباري أو اختياري وتقليل الدرجات المضافة والغاء نظام المفاضلة بين اللغات الثلاث (الاسبانية والفرنسية والروسية) وبين اللغة الانكليزية، فأصبح تدريس اللغة المضافة يشكل عبئا على الطلبة وأولياء أمورهم، لأنهم يضطرون لتوفير مدرس خصوصي لأبنائهم لتدريس المادة وهذا يشكل عبئا ماديا

ثقيلا عليهم، مما أدى الى تسرب الطلبة وانتقالهم الى مدارس أخرى غير مشمولة بتدريس اللغات الاجنبية.

٤- عدم رغبة عدد من أدارات المدارس التجربة كونهم يتأخرون ساعة بعد الدوام بسبب حصة اللغة الاجنبية المضافة، مما دفع تلك الادارات برفع طلبات الى الوزارة لأنهاء التجربة وقد استجابت قيادات الوزارة لتلك الطلبات وتم أيقاف تدريس اللغتين الاسبانية والروسية في المدارس عام ٢٠١٣ والابقاء على تدريس اللغة الفرنسية في ثلاث محافظات وهي بغداد ونينوى والبصرة ومدارس المتميزين والموهوبين في بغداد والمحافظات كافة.

٥- انعدام فرص العمل في القطاع الحكومي وعدم قدرة هذا القطاع على استيعاب العدد الكبير من خريجي اللغة الاسبانية، إذ أن معظم الذين حصلوا على فرصة عمل سواء في القطاع الحكومي أو الاهلي لا يمارسون تخصصاتهم، ماعدا العاملين في وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي أو في مجال الترجمة، ولكن الاغلبية يعملون في وظائف بعيدة كل البعد عن ممارسة اللغة.

٦- عدم وجود الدعم الكافي من الجانب الاسباني في مجال تدريس اللغة وعدم وجود أية قنوات للتواصل معهم بسبب الظروف الامنية الصعبة وعدم الاستقرار السياسي الذي يعيشه العراق لاسيما بعد أحداث عام ٢٠٠٣ ولغاية الان.

٧- رغم مرور أكثر من (٣٥) سنة على بداية تدريس اللغتين الاسبانية، مازالت كلمة (تجربة) ملازمة لتدريس هذه اللغة، ولم يتم ألغائها حتى من المناهج الدراسية.

النتائج والمعالجات

يمكن وصف تخصص اللغات الاجنبية بأنه تخصص علمي ونظري يقصد به دراسة لغة أو مجموعة من اللغات ،ولاشك أن أقبال الطلبة على هذا التخصص كبير جدا ، لان معظم الشركات تبحث عن الشخص الذي يمتلك بعض المؤهلات ، ومن أهمها أتقان لغة أجنبية قد لا تكون بالضرورة اللغة الانكليزية بل يشترطون أتقان اللغة الاسبانية أو الفرنسية أو الالمانية ولغات أخرى اقل عالمية ولكنها أصبحت مطلوبة وضرورية في العراق ، بسبب أزدياد التعاون التجاري والسياحي مع دولها ، مثل اللغة التركية والفارسية ويمكن وصف تخصص اللغات أنه

مطلوبا في العالم العربي ، ومن الصعب تصنيفه تحت التخصصات الراكدة، لأنه يشمل الكثير من المجالات . أن تعلم اللغة كما ذكرنا سابقا له فوائد عديدة منها فوائد صحية مثل تعزيز الذاكرة والدماغ وفوائد عملية مثل زيادة فرص العمل والثقة بالنفس فضلا عن اطلاع الطلبة على ثقافات الدول الاجنبية مما يزيد من قدراتهم الابداعية ويوسع مداركهم. لذا أصبح من الضروري أعادة العمل بتدريس اللغات الاجنبية فضلا عن اللغة الانكليزية، ونذكر هنا بعض الحلول والمعالجات الممكنة أذا توفرت الارادة الحقيقية لذلك من أجل خلق جيل واعي وقادر على بناء وطنه ومنفتح على كل الثقافات والحضارات الاخرى، هذا الجيل الذي هو مصدر للتنمية البشرية المستدامة ويمكن أن نلخص تلك الحلول كالاتي: –

١- أعادة تفعيل الاتفاقية العراقية الاسبانية في مجال التربية لدعم اللغة وفتح قنوات تواصل مع الجانب الاسباني المتمثل بالسفارة الاسبانية عن طريق المديرية العامة للعلاقات الثقافية.

٢- فتح شعبة للترجمة تضم خريجي اللغات الاجنبية فضلا عن اللغة الانكليزية في كل الوزارات لاستيعاب العدد الكبير من خريجي هذه اللغات في القطاع الحكومي. رغم أن هذا الحل قد يكون صعبا نوعا ما، ولكنه ضروري جدا لان العراق لديه علاقات اقتصادية وثقافية وسياسية قوية جدا مع أسبانيا، لذلك فأن كل الوزارات تحتاج الى كادر من المترجمين بتلك اللغات وعدم الاقتصار على اللغة الانكليزية من أجل استيعاب العدد الكبير من خريجي تلك اللغات الذين يصعب عليهم الحصول على فرصة عمل بتخصصاتهم، مما يضطرهم للقيام بأعمال أداريه لا تمت بأي صلة للغاتهم وبذلك لا يتواصلون مع اللغة الا بجهودهم الشخصية.

٣- التعاون مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / كلية اللغات / جامعة بغداد والتواصل معهم لأقامه الدورات التدريبية في مجال الترجمة بالتخصصات المذكورة أعلاه وبأجور رمزية.

٤- منح خريجي هذه اللغة بعثات دراسية لأكمال دراستهم العليا في الدول الناطقة بتلك اللغة للتواصل مع لغتهم وعدم نسيانها وأضافة هذه التخصصات للخطة الخمسية للوزارة في وزارة التخطيط أسوة ببقية التخصصات لأكمال دراستهم العليا داخل وخارج العراق.

٥- دعم الوزارة لتدريس اللغة الاجنبية ومعاملة اللغة كمادة أساسية أسوة ببقية التخصصات، وأعاده العمل بنظام الحوافز التشجيعية للطلبة، كإضافة درجتين على المعدل النهائي للصفوف

المنتهية مع الابقاء على اعتماد درجة اللغة الانكليزية، كما كان معمولا به في مدة الثمانينات عند بداية التجربة.

٦- أعادة فتح وحدة مناهج اللغة الاسبانية والروسية في المديرية العامة للمناهج كما كان معمول به سابقا لمتابعة سير تدريس تلك اللغات، وبالتنسيق مع المديرية العامة للعلاقات الثقافية لغرض التواصل مع السفارة الاسبانية.

٧- الاستعانة بخبراء أسبان لإقامة دورات تدريبية لخريجي هذه اللغات لتطوير قابلياتهم اللغوية واستمرار التواصل مع اللغة وأقامه الفعاليات المدرسية التي تشجع على دراستها.

٨- الدعم الاعلامي لهذا الموضوع عن طريق التلفزيون التربوي وتقديم دروس تربوية لطلبة اللغات الاجنبية أسوة ببقية المناهج الدراسية، فهذه اللغات لا تقل أهمية عن اللغة الانكليزية.

٩- تشكيل لجان لمتابعة تنفيذ المقترحات والمعالجات التي يتم طرحها من قبل الباحثين المشاركين في مثل هكذا مؤتمرات حتى لا تظل هذه الحلول حبيسة الاوراق والبحوث النظرية التي لا تجد صداها على أرض الواقع.

أن كل تلك المقترحات والمعالجات ستظل حبرا على ورق مالم تتوفر الارادة الحقيقية للتغيير وتطوير السياسات التعليمية في العراق خدمة للأجيال القادمة، وأن أقامه المؤتمرات التي تخص السياسات التعليمية بصورة مستمرة هي الفرصة الوحيدة لعرض تلك المواضيع وأيجاد الحلول والمعالجات الضرورية لتصويب ما هو خاطئ منها وتشجيع ودعم السياسات التربوية والتعليمية الصحيحة التي تنتهجها وزارة التربية ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، لكون عمل هاتان الوزارتان مرتبطتان ببعضهما البعض ولا يمكن فصل عمل الواحدة عن الاخرى لأن مخرجات وزارة التربية من الموارد البشرية تكمل مسيرتها في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

المصادر

- محمد بن شريفة (٢٠١٩). أمثال العوام في الاندلس لأبي يحيى عبيد الله أحمد الزجالي القرطبي.

- Muhammad bin Sharifa, Proverbs of Common People in Al- Andalus by Abu Yahya Ubaidullah Ahmed Al – Qurtubi.

- أحمد بن محمد المقري التنمساني. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطب / المجلد الثالث.

- Ahmed bin Muhammad Al – Muqri Al – Tanmesani,Nafh Al- Tayyib from the Wet Branch of Andalusia, Volume Three.

- ترجمة Arab News– المحررة في شبكة SELMA ROTHمقالات متعلقة: بقايا الوجود العربي في اللغة الاسبانية

- Translation of Arab news edited in the Selma Roth network. Related articles: Remnants of the Arab presence in the Spanish language.

– https://www.alukah.net/Literature

https://www.feedo.net/RaisingChildren/ParentChildrenRelationsships/Multilingual

www.trustedtranslations.com

https.// www.for9a.com/learn/category

https://www.alukah.net.literature

language/0/45550D8%A9